منطق السّيد "ديوي" الأداتي ومدرسة "شكاغو" (ترجمة)

The instrumental logic of Mr. Dewey and the Chicago School

إيمانوبل لورو (Emmanuel Leroux) ،ترجمة :بن معمر خير الدين [1*]

[1] جامعة تلمسان (الجزائر)، philologiqu@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/01/28 تاريخ القبول: 2022/03/24 تاريخ النشر: 2022/05/05

ملخص:

يجب الاختيار بين تصوّرين متعارضين للمنطق: التّصور الإبستمولوجي، والتّصور الأداتي أو التّطوري[...] ما دمنا نحتفظ بمسلّمة وجود حقيقة ثابتة، لا يمكننا تفسير دور الفكر الإنساني ولا تمييز قيمته؛ إمّا أنّه يشوّه هذا المعطى الذي نعتبره مستقلّا عنه، وبالتّالي فهو صانع للخطأ؛ وإمّا يعيد إنتاجه ببساطة وبشكل خالص، ومن ثمّ فإنّ عمله هو فعلا بدون جدوى[...] لقد استطاع المنطق الإبستمولوجي حقّا، تحت اسم المنطق التّطبيقي، أن يترك مكانا للاعتبارات النّفسية التي كان يرفضها من حيث المبدأ؛ أمّا المنطق الأداتي فلا يترك أيّ مكان بجواره لهذا التّصور الميتافيزيقي؛ عندما نميّز الفكر دون الأخذ في الحسبان الدّور الخاص الذي يلعبه في تجربتنا، لا نمارس تجريدا فحسب، بل تجريدا غير مشروع: لأنّنا نتصوّر واقعا بإزالة الحدود التي تعرّف بطبيعته على وجه التّحديد.

كلمات مفتاحية: براغماتية،. منطق،. تجربة،. حقيقة،. ميتافيزيقا.

Abstract:

We must choose between two opposing conceptions of logic: the epistemological conception, and the instrumental or evolutionary conception **[...]** As long as we keep the postulate of an immutable reality, we can neither explain the role of thought human, nor characterize its value; or else it alters what is supposed to be independent of it; and then she is the error worker; or else it reproduces it purely and simply; then his work is very futile **[...]** epistemological logic may well have, under the name of applied logic, left a place for psychological considerations which it rejected in principle; instrumental logic leaves no room beside it for this metaphysical conception; when we characterize thought without taking into account the particular role it plays in our experience, we are not only performing an abstraction, but an illegitimate abstraction: because we consider a reality by abolishing the limits which precisely define its nature.

Keywords: Pragmatism, logic, experience, truth, metaphysics.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

ننقل للقارئ العربي والجزائري محتوى هذا الفصل[1]، إسهاما متواضعا منّا إلى جانب جهود سابقة لمفكّرين عرب وجزائريين في التّعريف بالتّيار البراغماتي عموما وفلسفة "جون ديوي" في المعرفة ونظريته المنطقية على وجه التّحديد؛ آملين التّقليص من الفراغ الذي مازالت تأنّ له مكتباتنا بخصوص هذا المذهب وهذا المفكّر، ونلفت انتباه الطّلبة والقرّاء إلى الأهمّية التي حضي بها بعد أفول الفلسفات النّسقية وتراجع التّجريبية المنطقية؛ فالنّقد الذي كان عرضة له من قِبل بعض أهمّ فلاسفة زمانه لم يتغذ في الواقع ممّا ادُعي وقتئذ على أنّه وهن لأفكار "ديوي" والفلسفة البراغماتية، بل من ترويج الأمريكيين لفلسفة دخيلة، الفلسفة التّحليلية؛ وليس أدّل على ذلك من أنّ ألذّ خصوم البراغماتية التّحليليين صاروا في مرحلة نضجهم الفكري أشدّ ورثة الفكر البراغماتي نقدا للتّيار التّحليلي والوضعية المنطقية؛ ما وصفه "برتراند راسل" على أنّه شحن لـ "غريزة القطيع" هو سعي "ديوي" إلى أن يجعل من منطق "التّحري" ***«Inquiry»*** نظرية نسقية بالمعنى الإيجابي، نظرية تتجاوز حدود المنطق لتؤسّس فلسفة في التّربية، في الفنّ وفي السّياسة، لا يمكن لأحد أن يجحد حجم نجاحها. لماذا اختار السّيد "لورو" **Leroux** لهذا الفصل من كتابه هذا العنوان؟ بتعبير آخر، على ماذا يدلّ إقرانه نظرية "ديوي" في المنطق بمدرسة "شكاغو"؟ يعود ذلك ببساطة إلى أنّ حلول الفيلسوف بجامعة "شكاغو" عام 1894 شكّل منعطفا هامّا في حياته الفكرية: متأثّرا بكتاب "وليام جيمس"[2] ***«Principles of Psychology»*** ، يتخلّى "ديوي" عن المثالية ليقترب من البراغماتية؛ أثناء سنواته في الجامعة نشر أربعة مقالات تحت العنوان الجماعي ***«Thought and its Subject-Matter»*** "الفكر وموضوعه"، في مؤلّف يجمع أيضا مقالات لزملائه في "شكاغو"، عنوانه الجماعي ***«Studies in Logical Theory»*** "دراسات في النّظرية المنطقية" 1903؛ يدير قسم الفلسفة، علم النّفس والتّربية ويؤسّس ***University of Chicago Laboratory Schools*** مدارس مختبر جامعة "شكاغو"، أين بإمكانه اختبار أفكاره في التّربية، أفكار يجمعها في سلسلة من المقالات مجمّعة في مؤلّفه الرّئيسي الخاصّ بالتّربية: "المدرسة والمجتمع" ***«The School an Society»*** 1900، بناء على مبدأ يلتمس منّا إلى جانب التّسليم بأنّ المعرفة أو التّفكير هي أن نحيا تجربة، اعتبار هذه المعرفة عموما والنّظريات على وجه الخصوص أدوات للفعل، وأنّ مردودها هو الذي يصنع قيمتها: إنّها الأداتيّة **instrumentalisme**، الصّورة الخاصّة التي تأخذها براغماتية "جون ديوي" ونظريته في المنطق التي لم تتبلور إلّا مع ظهور مؤلّفه ***«Logic: the theory of inquiry»*** "المنطق: نظرية "التّحري"" سنة 1938؛ أي بعد انقضاء خمسة وثلاثين عاما عن ظهور "دراسات في النّظرية المنطقية"؛ وبالرّغم من أنّ الأسس قد وُضعت مبكّرا جدّا وأنّ، حسب كلمات مؤلّفه، **"الأفكارَ الأساسيةَ ظلّتْ كمَا هيَ"**، يجب أن نأخذ في الاعتبار الفترة الطّويلة

التي تفصل هذه الدّراسة عن نشأتها؛ كان لابدّ لصاحبها من زمن حياة، زمن مسار فلسفي سخيّ من أجل تخصيص مؤلَّف لمسألة "التّحري" والنّظرية المنطقية أخيرا.

يعرض السّيد "لورو" في هذا الفصل المراحل الأربعة لمسار الفيلسوف الفكري: في مقدّمتها النّظريات الفلسفية الأولى للسّيد "ديوي"، تأثير "هيجل" والطّريقة التّجريبية؛ تليها مرحلة الأبحاث الأخلاقية والتّطبيقات التّربوية، علم نفس ذي نتيجة عملية حيث تبرير الطّريقة التّجريبية والوضع الجديد للمشاكل المنطقية؛ بعدها تأتي مرحلة منطق "شكاغو": نقد التّصور الإبستمولوجي للمنطق، التّعريف الوظيفي للمفاهيم المنطقية، النّتائج؛ المرحلة الأخيرة تمثّل ما يضيفه السّيد "ديوي" إلى "جيمس"؛ وفيما يلي نصّ الفصل.

2. النص المترجم:

"بين جميع البراغماتيين، السّيد "ديوي" هو الأكثر تأثّرا بالتّأكيد بالفكر الجرماني؛ لا شيء أكثر طبيعية إذا تَمثّلنا حالة الدّراسات التّأملية في أمريكا إبان سنوات تكوينه الفكري[3]: ظلّ تعليم الفلسفة المعطَى في الجامعات في تلك المرحلة متواضعا على العموم، محدود بشكل ضيّق، طائفي على نحو مخيف، مهيمِن عليه التّقليد الاسكتلندي؛ تحولت العقول المتشوّقة للهروب من هذه الوصاية الكئيبة، التّواقة لتنمية فكر حيّ وحرّ فيها، تجاه كبار الميتافيزيقيين الألمان ووجدت نفسها موجَّهة في هذا الطّريق من خلال العمل النّشط لـ "وليام توري هاريس"[4]؛ كان "هاريس" تحديدا هو من استشاره الشّاب "ديوي" في عامه العشرين عندما تساءل عمّا إذا كان ذوقه للدّراسات الفلسفية يشهد على ميل حقيقي؛ وكان مؤسّس ***Journal of Speculative philosophy***[5] بإجابته المشجعة هو من جله يصمّم على الشّروع في هذه المهنة[6]؛ سنة بعد ذلك، كان السّيد "ديوي" يعمل[7] تحت إشراف "جورج سلفستر موريس"[8]، ممثل آخر لمذهب التّعالي[9]، الذي كان وقتئذ ينشر مجموعات لفلاسفة ألمان كلاسيكيين؛ صحيح أنّه في الوقت نفسه كان يُعتبر من بين أساتذته "ستانلي هال"[10]، أحد المبادرين العظماء في علم النّفس التّربوي، والذي كان في وُسع تأثيره أن يؤدي إلى تفضيل طعم الدّراسات الأكثر واقعية؛ وتجدر الإشارة أيضا وعلى وجه الخصوص إلى أنّ المثَل الأعلى الأمريكي للدّيمقراطية يبدو أنّه كان دائمًا جدّ حيّ في روح السّيد "ديوي": نسمعه ينادي مبكّرا بدين حقيقي للشّخصية الإنسانية، الذي يظهر أنّه لم يتعلّمه قطّ في مدرسة "هيجل"[11]؛ ومع ذلك يبدو أنّ "هيجل" كان الموجّه الأوّل لفكره؛ كيف استطاع السّيد "ديوي" أن يوفّق بداخله هذه العناصر المتباينة جزئيا؟ هذا ما سوف نراه من خلال دراستنا للمقالات الأولى التي خصّصها لمشكلات المعرفة[12].

I

منذ 1886 نسمع السّيد "ديوي" يدافع عن أطروحة أصلية إلى حدّ ما، وهي أنّ استنتاجات المثالية المطلقة والفلسفة المتعالية كان من الممكن والواجب الحصول عليها بواسطة منهج المذهب التّجريبي[13]؛ أدرك فلاسفة المدرسة التّجريبية الإنجليز المنهج الفلسفي الحقيقي، الذي هو المنهج النّفسي: يجب تحديد طبيعة الواقع، ليس كشيء غامض في ذاته ، ولكن كما يتقدّم إلى الوعي، إلى التّجربة، إلى المعرفة؛ يستخدم السّيد "ديوي" هذه المصطلحات الثّلاثة دون تمييز؛ نقاط ضعف التّجريبية لا تأتي من تمسّكها بوجهة النّظر هذه، بل على العكس من ذلك، من حقيقة أنّها لم تلتزم بها بأمانة كافية؛ هكذا فإن مذهب "هيوم" الحسّي هو في الواقع فرضية أنطولوجية، بما أنّه يدّعي العودة إلى مصدر المعرفة ذاته، وبالتّالي يضع نفسه خارج كلّ معرفة؛ الواقعية المحوَّرة لـ "سبنسر"[14] ومثالية "باين"[15] الذّاتية نتجتا، كلّ على طريقتها الخاصّة، من التّخلي عن المنهج النّفسي: هناك نفسّر الوعي من خلال شيء لا يمكن معرفته، هنا نعيد الوعي إلى الذّات التي ليست سوى جانبا منه؛ لا ينكشف حلّ المشكلة التي ترتبط بالعلاقات بين الذّات والموضوع إلّا إذا تمّ الإدراك بأنّ الوعي الذي يتّصل به كلّ واقع ليس وعيي الخاصّ، إنّما هو الوعي الكلّي، العقل المطلق؛ ليس من الضّروري لهذا السّبب ترك مجال التّجربة، لأنّ، وفقًا للسّيد "ديوي"، علم النّفس ذاته هو علم المطلق؛ ينتقد الميل الذي غالبًا ما يتجلى لدى الكانطيين الجدد لمعارضة علم النّفس الذي من شأنه أن يدرس الفرد البشري على أنه محدود في المكان والزّمن وفلسفة قد يكون موضوعها الوعي بالذّات العالمية واللامتناهي؛ إذا لم يكن الوعي بالذّات هذا نفسه فعل تجربة، تضحى الفلسفة مستحيلة؛ تفضي إلى تعارض غير قابل للحلّ، كما هو عند "كانط"، أو إلى تصوّرات ذات طابع سلبي مثل المفهوم الغُرِبِي[16] للنّشاط الرّوحي؛ ذلك لأنّه محكوم عليها باستخدام طريقة منطقية محضة، والتّغذي بالتّالي على التّجريدات؛ عندما يُعرض المنطق هكذا على المطلق، ماذا يصبح الواقع؟ إمّا شيء يتعارض مع الفكر بشكل غامض، وإمّا ما يُدّعى أنّه لحظة تطوّر منطقي؛ تتأرجح الميتافيزيقا بين ثنائيةٍ ووحدة وجود تعسّفية أيضا؛ لكنّ الحقيقة هي أنّ الوعي بالذّات يُظهر نفسه كفعل تجربة؛ أكثر من ذلك، إنّه مغلَّف داخل تفسير الظّواهر الأكثر بساطة: ما المقصود حتّى بفعل تجربة بالمعنى التّام للكلمة، فكرة أو شعور مثلا، وإلّا واقعة منسوبة إلى وعي بالذّات؟ يجب على الفلسفة أن تنطلق من التّجربة، لكن مأخوذة في ملئها كلّه؛ بيد أنّ هذا هو موضوع علم النّفس بالذّات؛ لا ينفي بلوغ المطلق بها، الوعي الكلّي؛ لكن لا يمكننا الوصول إلى هذا الوعي إلّا بقدر ما يتحقّق عن طريق الفرد البشري.

وهكذا، مثلما كان على "جيمس" والسّيد "سشيلر"[17] أن يفعلانه بكيفية صريحة لاحقا، يرفض السّيد "ديوي" منذ بداياته المنهج الجدلي الذي كان رائجا آنذاك، ليحُلّ مقامه ما كان يعتقد أنّه منهج تجريبي: يفصل مثل "جيمس" قيمة هذا المنهج الأخير عن الاستنتاجات الخاصّة التي ادّعى أشهر المفكّرين البريطانيين استخلاصها منه؛ ومع ذلك يحتفظ حينئذ من الفلسفة الكانطية الجديدة أكثر بكثير من ما لم يقبله "جيمس" والسّيد "سشيلر" أبدا، بما أنّه يدّعي الوصول بهذا المنهج النّفسي إلى تأكيدٍ للوعي

الكلّي؛ ماذا يُفهم من هذا بالتّحديد؟ بماذا يكون هذا المفهوم الميتافيزيقي في نظريته أكثر إيجابية ممّا هو عليه في نسق "غرين" أو "إدوارد كايرد"[18]؟ كيف يمكننا القول أنّه حتّى تعبير عن التّجربة؟ قد نجد بصعوبة في هذين

المقالين الأوّليين للسّيد "ديوي" إجابات واضحة على هذه الأسئلة، ويجب أن نعترف بأنّ "شادوورث هوسدغسون"[19] لم يُلق اللّوم على كاتبهما دون سبب واضح لخلطه التّجريد بالواقع[20]؛ لكنّ السّيد "ديوي" كان على وشك تطوير مفهومه للكلّي، ومن ثمّة توضيح تصوّره الفريد للتّجربة.

ليست التّجربة بالنّسبة للسّيد "ديوي" ذاتية بشكل أساسي؛ بتعبير آخر، وكما كان يقول في كتاب راهن للمقالين اللّذين أتينا على تحليلهما، يضمّ الواقع النّفسي في ذات الوقت عنصرا فرديا وعنصرا كلّيا[21]؛ فيما يتمثّل إذن العنصر الأخير؟ هذا ما يريد السّيد "ديوي" توضيحه في مقال لعام 1887[22]؛ لكلّ حدث نفسي مظهران: من جهة هو "وجود"، حادث فريد من نوعه، متكوّن من إحساسات وصور محدّدة؛ من جهة أخرى هو ***«meaning»***[23]، إشارة واقع مختلف عنه[24]؛ من خلال هذه الخاصّية الأخيرة يتميّز النّفسي عن الجسدي: إحساس منعزل قد لا يمثّل شيئا بالنّسبة لنا؛ بدون ***«meaning»*** لا يمكن أن تكون هناك تجربة واعية؛ بيد أنّ الـ ***«meaning»*** هو عنصر تأمّل، علاقة قيمة شمولية؛ مثل هذا العنصر لا يمكن تفسيره، كما يريد "سبنسر"، من خلال ارتباط كيانات بسيطة؛ يتطلّب تفسيرا للمعطى الحسّي بواسطة ذكاء يُظهر ميزته الأصلية والتّركيبية؛ هذا الذّكاء الذي تفترضه كلّ تجربة يجب أن يمتلك "محتوى داخلي ضروري ودائم"؛ لكنّه ليس فكرا صوريا خالصا مثبّتا على مادّة غريبة: إنّه يشكّل وينمّي التّجربة نفسها، في ما لهذه الأخيرة من دلالة.

من هذا التّصور الحقيقي للذّكاء يجب أن ينبثق تجديد للمنطق: هذا ما أراد السّيد "ديوي" أن يبيّنه ابتداء من 1891[25]؛ على المنطق ببساطة أن يوفّر نظرية للموقف العلمي، تعريف العلاقة بين الفكر والواقع كما هي موجودة بالنّسبة للعالِم؛ ما مردّ كون إلى حدّ الآن لم يحقّق أيّ منطق هذه النّتيجة، وأنّ حتّى فكرة مثل هذه المادّة تُعتبر عموميا ميتافيزيقية بالمعنى المشكوك فيه للكلمة؟ من كون الفلاسفة ما زالوا لم يتخلّصوا بعد من التّصور الملهِم للمنطق الصّوري: منطق فكر منفصل عن الأشياء، مستقل وثابت، له قوانينه الخاصّة التي يفرضها على الموضوعات؛ هذا التّصور المتعلّق بالقرون الوسطي يبقى قيد الحياة داخل المنطق الاستقرائي، الذي يميّز بكيفية جديدة نقطة انطلاق الفكر، لكن لا يرى آليته أقل جمودًا أو أقل عزلة؛ يحيا

حتّى عند "كانط" الذي تنكر بدون شكّ للقيمة المعرفية لفكر تحليلي خالص، لكنّه لم يتمكّن حتّى من تفنيد وجوده؛ وحده منطق "هيجل" المتعالي أطاح بهذه المسلّمة؛ صور الفكر بالنّسبة له هي الصّور التي يأخذها الواقع تدريجيا حتّى في تطوّره نحو معقولية متزايدة؛ الفكر هو المعنى الحالي للحقائق نفسها، القبلي ليس سوى هيكل التّجربة؛ من خلال تأكيده بهذه الكيفية عقلانية الواقع، سيعرف منطقٌ كيف يعبّر حتّى عن روح العلم[26].

في هذه المحاولات الأولى أين يبدو فكر السّيد "ديوي" أحيانا يبحث عن نفسه بصعوبة نوعا ما، قد تمّ تبَيُّن بعض السّمات المميّزة لأداتيّته[27] المستقبلية: ليس فقط اللّجوء إلى التّجربة، وإنّما الأهمّية المولاة لمفهوم ***meaning*** وخاصّة الخصومة تجاه التّصورات الصّورية الخالصة أو الثّابتة للفكر؛ لا ينبغي إغفال ملاحظة أنّ هذه السّمة الأخيرة هي نفسها مرتبطة بميول معيّنة للمفكّرين الألمان، ولكن ليس بتلك التي أثّرت ربّما أكثر حتّى الآن على تلاميذهم الأمريكيين والإنجليز؛ في حين سلّط كلّ من "غرين" و"رويس"[28] مثلا قبل كلّ شيء الضّوء بعد الكانطيين على الطّابع الرّوحي والأبدي في نفس الوقت للواقع؛ ويبدو أنّ التّأثير المهيمن لـ "هيجل" قد حدا بـ "ديوي" إلى التّأكيد بدلا من ذلك على طابعه العضوي والدّينامي؛ من الأهمّية بمكان رفضه الفصل بين الكلمات المتضادّة مثل تجربة وتفكير، مفرد وكلّي؛ كما أنّ العنف الذي لا يخشى أن يلحقه أحيانا بالعادات الشّائعة للّغة والفكر يعكس بلا شكّ هذا الشّغف الهيجلي للوحدة المزدري نوعا ما للوضوح المشترك؛ في هذا النّظام النّامي الذي يشكّل الواقع، يُعتبر العقل بالنّسبة للسّيد "ديوي" عاملاً أساسياً أيضا؛ لكن ألا يزال يعكس تأثير "هيجل" عندما يرفض اعتباره إمّا كقابل للعزل وإمّا كثابت؟ على أيّ حال هو ليس الفيلسوف الوحيد في زمانه الذي يُظهر مثل هذا الميل؛ يمكن أن نجد استعدادات مماثلة إلى حدّ ما، على وجه الخصوص في منطق السّيد "بوزانكيت"[29] الذي يدهشنا عدم رؤيتنا مشارا إليه في المقال الأخير؛ لكن من المؤكّد أنّه يعود إلى السّيد "ديوي" وحده جمع هذه التّصورات المتعالية بإشادة حاسمة بالمنهج النّفسي؛ هذان العنصران يبدوان أوّلا ملحومَين من قِبَلِهِ بكيفية خرقاء نوعا ما؛ ومع ذلك كان في وسع فكره بفضل آخرهما أن يتجدّد بكيفية فريدة: كان على البرنامج الغامض نسبيا الذي سطّره المنطقي أن يُعزَّز ويُحوَّر جزئيا بواسطة تعاليم التّجربة.

II

لمدّة ثمانية سنوات بدا مشكل المعرفة متوقّفا عن احتلال المقام الأوّل في فكر السّيد "ديوي"؛ يظهر مهتمّا قبل كلّ شيء بالمسائل الأخلاقية؛ يأتي في أبحاثه الجديدة بمؤهّلات مشابهة لتلك التي رأيناها حيز التّطبيق في مجال آخر؛ هنا مرّة أخرى، في البداية على الأقلّ، تأثير "هيجل" غالب[30]؛ هنا أيضا يحارب السّيد "ديوي" عند البعض من زملائه الأنجلو هيجليين، وكذلك عند "كانط" نفسه[31]، الميل إلى عزل والميل إلى شلّ حركة ما قد نسمّيه اليوم ترتيب القيم؛ لقد استهدف على وجه الخصوص تصوّرا-تمّ الدّفاع عنه مؤخّرا من قِبل "غرين"-للأنا معتبرا كمثل أعلى ثابت، أبدي، مجرّد، غريب عن رغباتنا، والذي سوف يكون من واجبنا الاقتراب منه دون قدرة على بلوغه أبدا[32]؛ كان يقابل هذا التّصور، في كلمات كثيرة الغموض أحيانا، بالمفهوم المهمّ لمثل أعلى متحرّك في علاقة ثابتة مع الحالة الرّاهنة لنشاطنا الملموس؛ وبذلك لم يبرز أكثر مرّة أخرى الطّابع المتطوّر للواقع والوحدة المتينة للمثالي والرّاهن داخل تجربتنا فحسب، بل كان مرغَما أيضا على الإشارة للمرّة الأولى فيما يبدو إلى العلاقة الأساسية بين الفكر والفعل؛ في الصّنف الأخلاقي، كما في أيّ مجال، ما هي النّظرية في الأصل؟ يجيب

السّيد "ديوي" مبكِّرا: هي قبل كلّ شيء أداة (*tool*)، أداة يجب أن تساعدنا على تحليل بعض الحالات الخاصّة من أجل اكتشاف بالنّسبة لكلّ واحدة منها أفضل صورة للتّصرف[33].

يبدو هذا الرّأي الجديد مؤكَّدا وموضَّحا بشكل كبير في فكر السّيد "ديوي" تحت تأثير مزدوج: علم النّفس المعاصر وتجربته التّربوية الخاصّة؛ عُيّن السّيد "ديوي" في 1894[34] في الوقت نفسه أستاذا للتّربية والفلسفة بجامعة "شيكاغو"؛ لم يتوان هناك عن تطبيق مفاهيمه الأخلاقية على مشكلة التّربية بالكيفية الأكثر واقعية والأكثر جرأة؛ العمل شبه الثّوري الذي أنجزه في هذا الميدان جدير بأن يحضا لوحده بدراسة خاصّة[35]؛ لنقول ببساطة هنا أنّ السّيد "ديوي" جسّد فعلا في "مدرسته التّجريبية" مبدأ أنّ كلّ فكر مثمر يتشكّل بهدف فعل ملموس: هكذا عوض أن يُؤتى بالتّعليمة جاهزة من الخارج لتلاميذ وُدعاء بشكل سلبي، تنمو فقط عن مختلف الأشغال اليدوية الممارَسة من قِبل الأطفال أوّلا؛ كان على النّتائج المثمرة لهذه التّجربة فيما يتعلّق حتّى بالتّكوين العقلي أن تعزّز عند السّيد "ديوي" نفوره العميق من فكرة معرفة منعزلة إمّا عن الأشياء وإمّا عن الفعل.

ومع ذلك لم تأخذ نظريته الخاصّة شكلا واضحا فعلا إلّا بفضل دراسة عميقة لبعض المشاكل النّفسية؛ في سلسلة من المقالات المضنية لكنّها نافذة، درس السّيد "ديوي" بالتّعاقب العاطفة، قوس الانعكاس والجهد؛ يستلهم من "وليام جيمس" و"داروين"[36] بوجه خاصّ، لكنّه يُكمل تحليلاتهما بتفسير جديد تحكمه الفكرة التّالية: هي أنّ الحياة النّفسية مسار حسّي حركي بشكل أساسي، نشاط كلّي غير قابل للتّجزئة، اتّصال سابق عن كلّ فصل بين العناصر، وأنّ هذا النّشاط يظهر بالتّعاقب بمظهرين مختلفين، تارة على هيئة تنظيم كامل-كما هو حال الغريزة أو العادة- وعلى هيئة انقطاع وإعادة تنظيم تارة أخرى، إنّه حالة العاطفة أو الجهد: بانكسار الوحدة الأصلية يتّضح للوعي كلّ من الإحساس والحركة إلى غاية إنشاء وحدة جديدة.

بيد أنّ بفضل هذا التّصور الجديد سوف نفهم أفضل كيف يمكن للمنهج النّفسي أن يكون المنهج الفلسفي الحقيقي[37]؛ لم تكن هذه الأطروحة لتُقبَل لو كان موضوع علم النّفس الوحيد "حالات شّعور" فردية خالصة، معتبرة كواقع يمكن أن يكفي نفسه بنفسه وأن ينعزل عن البقية؛ لكن فيما وراء حالات الشّعور هذه، رموز مبتدَعة من أجل سهولة البحث، يدرس عالم النّفس دائما في الحقيقة أداء نشاط معيّن تتمّ متابعته عبر مراحله المختلفة؛ مثل هذا النّشاط لا ينعزل عن الوسط الفيزيائي، ولا عن الوسط الاجتماعي؛ ليس قط مجموعة منفصلة من الظّواهر؛ إنّها التّجربة نفسها معتبَرة ليس في مضمونها الممكن، الذي هو موضوع العلوم الفيزيائية والبيولوجية، وإنّما في عملها الفعلي؛ هكذا يجب أن تكون وجهة النّظر الفلسفية نفسها، إذا كان صحيحًا أن الواقع الشّامل، بعيدا عن التّحليق الثّابت فوق الحياة الفردية، يتجلى بدقّة من خلال هذه الحياة؛ قصارى القول علم النّفس والفلسفة يلتقيان، بما أنّ أحدهما ليس منغلقا داخل الذّاتي ولا الآخر مكرَّسا لتأمّل الأبدي: حكمان مسبقان متلازمان، واللذان لابدّ أن ينمحيا بطبيعة الحال في مجتمع ديمقراطي.

تبعا لهذا أيضا فإنّه كمظهر للعمل سوف يكون لزاما على الفكر نفسه أن يتميّز؛ لا يجب الاعتقاد علاوة على ذلك أنّ مشكل المعرفة رغم مظهره التّقني يكون قد تطوّر بشكل مستقلّ عن الحياة الاجتماعية؛ عندما يعود السّيد "ديوي" إلى هذه المشكلة يحاول ببراعة بيان أنّ الطّرق المختلفة في طرحها وحلّها تستجيب لفترات مختلفة من التّطور التّاريخي[38]؛ تتوافق الصّورة الحالية مع حركة التّحرر التي بدأها الإصلاح وعصر النّهضة؛ يمكن حتّى القول أنّ من بين الحلّين المتعارضين، أحدهما، المذهب الحسّي، يمثّل العنصر الشّمالي والهمجي للمبادرة الفردية، للجدّة، للتّقدم؛ الآخر، المذهب العقلي، يعبّر عن التّقليد اليوناني الرّوماني للنّظام، للمحافظة، للوحدة؛ تماما كما هو ضروري توحيد هذين المبدأين في الحياة الاجتماعية، فإنّ الإحساس والتّصور هما طرفان في المعرفة، مثلما بيّنه "كانط"؛ لكنّ المشكلة تظلّ، بدون حلّ من قِبل "كانط"، في معرفة أيّ علاقة تجمع هذين العنصرين؛ ومع ذلك يجب من أجل حلّها بكلّ بساطة تسليط الضّوء على هذه التّبعية التي أظهرها لنّا التّاريخ، التّخلي عن المسلّمة التي أعابت مرّة أخرى الكانطية الجديدة، والعلم بأنّ المعرفة تجد في ذاتها أصلها وتبريرها؛ من وجهة نظر الفعل فقط سوف يتمّ تفسير هذه الثّنائية: أليس للفعل كمهمّة على وجه التّحديد التّوفيق بين القديم والجديد؟ العلم هو بشكل أساسي الأداة التي بفضلها يحافظ الفرد في الحياة الحديثة على قيم الحضارة.

هكذا يتّفق الجميع حول هذه النّتيجة، أنّ مشاكل المعرفة يجب أن تعرَّف ليس فقط من النّاحية النّفسية، وإنّما على صعيد العمل كذلك؛ من وجهة النّظر هذه يجب إعادة النّظر في كلّ المنطق؛ يعمل السّيد "ديوي" الآن على إظهار الحاجة إلى هذه المهمّة من خلال تعليمه الشّفهي بما لا يقلّ عن كتاباته الخاصّة[39]؛ ظهرت نتائج العمل الذي قام به هو وتلاميذ ندوته بجامعة "شيكاغو" على حدّ سواء عام **1903** في المنشورات العشرية لتلك الجامعة[40]؛ من هذه الدّراسات القيّمة في الغالب، والتي نريد في بعض الأحيان فقط مزيدا من الوضوح لقلّة التّميز، لنحاول تحديد الأفكار الرّئيسة التي تلهمها كلّها.

III

يجب الاختيار بين تصوّرين متعارضين للمنطق: التّصور الإبستمولوجي، والتّصور الأداتي أو التّطوري[41]؛ اتّخذ المناطقة إلى حدّ الآن ببعض المدارس التي ينتمون إليها وجهة النّظر الإبستمولوجية: لقد أقاموا تمييزا أساسيا بين الفكر والواقع، أرادوا تعريف قوانين الفكر بصفة عامّة؛ بشكل أكثر دقّة ربّما، المسلّمة المشتركة بين التّجريبيين والمتعاليين تكمن في تأكيد وجود حقيقة ثابتة وتامّة، مستقلّة عن الفكر الإنساني؛ سواء كانت هذه الحقيقة مكوَّنة من حوادث غريبة عن كلّ فكر أو بواسطة فكر مطلق، فإنّ طبيعة المعرفة وقيمتها توجدان دائما مُعرّفتين بالقياس إلى بعض الحدود الثّابتة؛ بيد أنّ

هذه المسلّمة تؤدّي بالضّرورة إلى صعوبات تستعصي عن الحلّ، إلى تناقضات جذرية: هذا ما يسعى السّيد "ديوي" وتلاميذه لإثباته من خلال إخضاع النّظريات المختلفة للمناطقة السّابقين إلى نقد دقيق؛ "لوك"[42]، "مل"[43]، "لوتز"[44]، السّيد "بوزنكيت"[45]، "رويس"[46] يتلقون كلّ على حدة هجماتهم؛ وها هي بعض من حججهم الأساسية.

ما دمنا نحتفظ بمسلّمة وجود حقيقة ثابتة، لا يمكننا تفسير دور الفكر الإنساني ولا تمييز قيمته؛ إمّا أنّه يشوّه هذا المعطى الذي نعتبره مستقلّا عنه، وبالتّالي فهو صانع للخطأ؛ وإمّا يعيد إنتاجه ببساطة وبشكل خالص، ومن ثمّ فإنّ عمله هو فعلا بدون جدوى[47]؛ من جهة أخرى كيف نعرّف الحقيقة؟ إمّا ستكون اتّفاق الفكر مع نفسه: معيار صوري تماما، ومن الواضح غير كاف؛ وإمّا ستكون اتّفاق الفكر مع الواقع قيد البحث؛ لكن بين هذين الحدّين الموضوعين قبل كلّ شيء بشكل منفصل عن بعضهما، كيف يمكن لعلاقة حتّى أن تنشأ؟[48] علاوة على ذلك هل يجب النّظر لهذا الاتّفاق على أنّه معطى على الفور؟ لا يمكننا والحالة هذه فهم عمل الفكر والبحث، ناهيك عن الخطأ؛ هل سنقول مع "برادلي"[49] أنّ الأمر يتعلّق بالانتقال من تجربة جزئية إلى تجربة تامّة؟ كون تجربتنا دائما جزئية لا توجد إمكانية وضع من وجهة النّظر هذه تمييزا واضحا بين الحقيقة والخطأ؛ هل سنذهب في الأخير مع "رويس" إلى حدّ الاعتراف بأنّ كلّ فكرة تتميّز بنوع من التّصميم (***purpose***) الخاصّ؟ لكن طالما يظلّ هذا التّصميم متصوَّرا على أنّه يتوافق مع نظام معيّن مطلق للواقع لسنا متقدّمين أكثر الباتّة، بما أنّ الفكر الإنساني لا يحقّق أبدا هذا التّصميم بشكل تامّ؛ ولا شيء يصلح للقول أنّه يقترب أكثر أو أقلّ من هذا التّحقيق، وأنّ الفرق بين الحقيقة والخطأ يقوم في هذا التّمييز في الدّرجة: لأنّ بسبب مثل هذا القرب نحن أنفسنا لا نستطيع أبدا الحكم؛ هكذا فإنّ اتّفاق فكرنا مع حقيقة مطلقة إذا لم يُعطَ على الفور لا يُعطَى أبدا، ومن ثمّة لا تصل معرفتنا إلى اليقين أبدا؛ بسبب وجهة النّظر الميتافيزيقية والمجرّدة هذه التي تميّز الإبستمولوجيا لم نتمكّن من الوصول إلى تفسير معنى أيّ من السّمات الحقيقية للفكر الإنساني؛ يقوم الدّليل في كون المناطقة الملتزمين مبدئيا بهذا التّصور بمجرّد دراستهم للأشكال الملموسة للمعرفة، يقحمون مفاهيم غريبة جذريا عن هذه الإبستمولوجيا وحتّى متناقضة معها: هناك تعارض بين مسلّمتهم الميتافيزيقية وإحساسهم بالواقع[50].

يجب التّخلي صراحة عن هذه المسلّمة؛ لابدّ من دراسة الفكر المنطقي على صورته الإنسانية، كوظيفة ملموسة يمكن ملاحظة تطوّرها واستخراج ميزاتها الخاصّة، كحالة تكيّف خاصّة للتّعريف[51]؛ بتعبير آخر لا يجب على المنطق أن ينفصل قطّ عن علم النّفس: كأيّ دراسة معيارية ليس إلّا جزئا من علم النّفس الوظيفي[52]؛ بيد أنّ التّجربة تكشف لنا، سبق أن رأينا، عن نوعين مختلفين من المراحل في وتيرة وجودنا: يستمرّ نشاطنا تارة تلقائيا بدون عائق-إنّها لحظة العادة- تارة أخرى يجد هذا النّشاط نفسه أمام ظروف جديدة تفرض إعادة تكيّف-إنّها لحظة ميلاد التّفكير- يظهر هذا في حالات الأزمة، في اللّحظة التي تشوَّش فيها العادة[53]؛ يمكننا تمييز بكيفية دقيقة الحالة أو بالأحرى، تبعا للفظ عزيز عند

السّيد "ديوي"، الموقف الذي يسبق ويؤدّي إلى التّفكير المنطقي[54]؛ لا يحمل هذا الموقف في حدّ ذاته سمة فكرية كما يدّعي الهيجليون الإنجليز الجدد؛ لكنّه ليس مكوَّنا أكثر من مجرّد وجود، حالات وعي ذاتية أو حوادث خامة: إنّه تجربة سابقة عن التّمييز الدّقيق بين النّفسي والفيزيائي، تجربة دينامية بشكل أساسي وغير تامّة؛ يبدأ العمل المنطقي دائما داخل نشاط موجود بصورة قبلية مرتبط مسبقا ببعض القيم، لكن عندما يضطرب هذا النّشاط تكون وحدة التّجربة قد انكسرت؛ هناك صراع؛ حرب بين عناصر مختلفة، مع الحاجة إلى تجربة أوسع توائم بينها؛ يقوم التّفكير حتّى في الجهد الذي يريد وضع حدّ لهذا التّوتر، تحقيق هذا الوئام، إعادة تكوين عادة جديدة.

بيد أنّ من أجل متطلّبات القضية[55]، توجد تجربتنا منقسمة إلى مجموعتين من العناصر المحدَّدة وفقا لبعضها البعض في عمل إعادة التّنظيم هذا؛ من ناحية إنّها الحوادث، المعطيات، الوجود، أي كلّ العناصر التي ليست موضع تساؤل في البحث الرّاهن؛ لا جدال حولها، لكنّها غير تامّة، غير متواصلة، تتعلّق بموضوع الحكم؛ ومن ناحية أخرى إنّها الأفكار، الآراء، الـ ***meanings***، أي العناصر الرّامية لإتمام الأولى، عناصر قابلة للتّعديل، خاضعة للشّك، معتبَرة كافتراضية؛ ترتبط بالمحمول[56]؛ لا توجد هاتان المجموعتان منفصلتين عن بعضهما؛ التّمييز بينهما دائما نسبي، أداتي، تاريخي: يعبّر عن تقسيم للعمل ضروري من أجل تقدّم الفكر؛ الحقائق والأفكار أدوات مصنوعة من أجل الغاية نفسها؛ نقيس على التّوالي بالحوادث مختلف الأفكار معتَبرة ككثير من الفرضيات أو المحمولات الممكنة، إلى غاية اللّحظة التي نصل فيها إلى حكم نهائي؛ يجب على الفكرة أن توجّهنا في إعادة تنظيم التّجربة هذا الذي يشكّل هدف الفكر نفسه؛ الفكرة لها قيمة، الفكرة صحيحة بقدر ما تنجح في هذه المهمّة، وتحلّ محلّ التّوتر الذي وُلدت منه حالة نشاط مُرضية ومستقرّة: تجربة فاحصة تتجاوز في الواقع بدورها مرحلة التّفكير الفعلي[57]؛ وغني عن البيان أن هذا الانسجام الجديد يظلّ دائمًا مؤقتًا ومعرضًا لأزمات أخرى يولَد منها عمل منطقي جديد[58].

في هذه الشّروط الملموسة، التّاريخية، يجب أن تُطرح كلّ مشاكل المعرفة؛ لقد استطاع المنطق الإبستمولوجي حقّا، تحت اسم المنطق التّطبيقي، أن يترك مكانا للاعتبارات النّفسية التي كان يرفضها من حيث المبدأ؛ أمّا المنطق الأداتي فلا يترك أيّ مكان بجواره لهذا التّصور الميتافيزيقي؛ عندما نميّز الفكر دون الأخذ في الحسبان الدّور الخاص الذي يلعبه في تجربتنا، لا نمارس تجريدا فحسب، بل تجريدا غير مشروع: لأنّنا نتصوّر واقعا بإزالة الحدود التي تعرّف بطبيعته على وجه التّحديد[59]؛ لم تعد هناك حاجة إذن لأن نطرح مثلا المشكل المعروف لعلاقات الفكر عموما بالواقع عموما؛ ليس لموضوع (***subject-matter***) الفكر ما هو غامض للغاية؛ لننظر إلى الفكر في نموّه الحقيقي، وسنرى أنّنا تحت اسم الموضوع هذا نشير تارة إلى السّوابق التي تنشئه، تارة إلى الجزء من الواقع الذي يعتبره كمعطى أثناء عمله، وتارة أخرى إلى كامل المحتوى المنظَّم الذي يصل إليه[60]؛ تعرَّف كلّ هذه المصطلحات على نحو تامّ بالنّسبة للّحظات المتعاقبة لعملية ملموسة؛ وهذا التّعريف لا يترك مكانا لأيّ من الصّعوبات

التي تحيّر على الدّوام الإبستمولوجيين؛ لا ينبغي بعد الآن تصوّر المعرفة بكيفية مجرّدة، كتمثّل لواقع ثابت، وإنّما من منظور إنساني، كوظيفة تهدف إلى إعادة بناء التّجربة أو تحويلها؛ بتعبير آخر، بما أنّ على الواقع أن يعرَّف بمصطلحات تجريبية، كأداة بواسطتها يتمّ التّطور الواعي للواقع[61].

IV

كما نرى، ظلّ السّيد "ديوي" وفيّا لهذه الطّريقة النّفسية التي دافع عنها مبكّرا باعتبارها الطّريقة المناسبة للفلسفة والتي لم يتوقف قطّ عن تقديمها على هذا النّحو؛ يمكننا حتّى القول أنّه حصل على معرفة أكثر وضوحا بأهمّية هذا التّأكيد الأوّل، بما أنّه ينتظر ويستمد الآن منه بالفعل تجديدا للمنطق؛ لكن يجب الاعتراف بأنّ قبل الوصول إلى هذه النّقطة لابدّ أن يكون هذا التّأكيد قد أُثريَ بشكل فريد من خلال مفهوم الحياة العقلية الذي ساهم "جيمس" في إلهامه إيّاه؛ القول بأنّ مشاكل المعرفة نفسها لابدّ أن تُطرح على صعيد التّجربة يعني الآن القول بوجوب طرحها فيما يتعلّق بتطوّر فعاليّة ما؛ ومع ذلك سوف يكون من الخطأ الاستنتاج أنّ مدرسة شيكاغو لم تضف شيئا إلى آراء "جيمس"؛ لقيت هذه الآراء عند السّيد "ديوي" توسعا يشبه في بعض جوانبه تلك التي لاحظناها في عمل السّيد "سشيلر"؛ نجد أوّلا نفس المجهود من أجل توظيف بعض الملاحظات النّفسية في تشكيل منطق جديد؛ عند السّيد "ديوي"، مثلما هو الحال مع السّيد "سشيلر"، تتميّز الخاصّية العملية الأساسية للذّكاء بطاقة تذكّرنا بتأكيدات "جيمس" الأولى بدلا من تصريحاته الأخيرة: لا أحد ربّما يكون قد ميّز بقدر قوّة السّيد "ديوي" المعرفة كلحظة للفاعليّة، لحظة في الحقيقة ضرورية ومثمرة؛ أخيرا يتّفق السّيد "ديوي" مع السّيد "سشيلر" في نسبتهما للمعرفة تحويلا إيجابيا للواقع؛ صدفة لافتة للنّظر بشكل خاصّ بما أنّ باتباع هذا الطّريق نتجاوز فكر "ديوي" بغية التّقدم في اتّجاه يمكننا أن نسمّيه على العموم مثاليا.

ذلك أنّ في الحالة هذه أيضا كان علم نفس "جيمس" مفهوما من خلال فكر كان محكوما قبلا بمؤثرات أخرى؛ منذ البداية، لقد رأينا، كان السّيد "ديوي" قد ورث عن "هيجل" تصوّرا تطوّريا للواقع، ولكن ليس الباتّة تعدّديا، وفكرة أنّ العقل يلعب دورا أوّليا في هذا التّطور للكون؛ كان في الحقيقة يحاول وقتئذ التّعرف على العقل بواسطة البنية المتدرّجة للتّجربة؛ كان ذلك بالنّسبة له تجديدا هامّا بدلا من تحويل المعرفة إلى مكان ثانوي في عمل النّشاط الحيوي؛ ولكن تحت هذا التّصور نفسه للنّشاط ألا نتعرّف على الفكرة الهيجلية لنظام في تحوّل منقولة إلى المجال الإنساني؟ وبما أنّ الفكر يستجيب إلى المراحل الصّعبة لهذا النّشاط، ألا يظلّ دائما المحرّك الحقيقي للنّظام؟ -نظام فردي خالص سنقول- بالطّبع هذا ليس رأي السّيد "ديوي"؛ إنه يحتفظ بطريقته الخاصّة في تحديد الواقع بالتّجربة، دون التّوقف عن إعطاء الكلمة الأولى معنى عالميًا؛ يبقى قائما في أداتيّة **1903** بعض آثار التّقارب الأصلي الذي أقامه "ديوي" منذ 1886 بين المثالية التّجريبية للتّقليد الإنجليزي والعقلانية الدّينامية لـ "هيجل".

هوامش النص :

[1] العبارتان تعريب لـ «La logique instrumentale de M. Dewey et l'école de Chicago»؛ عنوان الفصل السّابع من كتاب «*LE PRAGMATISME Américain et Anglais, Etude historique et critique*», Paris, LIBRAIRIE FELIX ALCAN, 1923؛ "البراغماتية الأمريكية والإنجليزية، دراسة تاريخية ونقدية"، باريس، مكتبة "فليكس آلكان"، 1923؛ للأستاذ ومؤرّخ الفلسفة الفرنسي Emmanuel Leroux "إمانويل لورو" (1883-1942)؛ من الصّفحة 140 إلى الصّفحة 159

2– وُلد William James يوم 11 جانفي 1842 بـ"نيويورك"، توفى يوم 26 أوت 1910 بـ Chocorua في New Hampshire؛ عالم نفس وفيلسوف أمريكي، ابن "هنري جيمس" Henry James Sr. تلميذ "إمانويل سويدنبورغ" Emanuel Swedenborg (1688-1772) والأخ الأكبر لـ "هنري جيمس" Henry James (1843-1915)، روائي شهير؛ "جيمس" هو واحد من أبرز أعضاء جيل المفكرين الذين ساهموا في إعطاء الفكر الأمريكي نبرته الخاصّة؛ ليس مؤسّسا للبراغماتية فحسب، بل للفلسفة التّحليلية أيضا؛ معرَّف في الغالب كمؤسّس لعلم النّفس في أمريكا، كتابه الكبير الأوّل المنشور عام 1890 عنوانه "مبادئ علم النّفس" «*The Principles of Psychology*» .

3– وُلد السّيد "ديوي" بـ "بورلنغتن" (فارمونت) Burlington (Vermont)، عام 1859؛ أجرى دراساته الأولى في جامعة مسقط رأسه.

4- انظر Stanly Hall, Philosophy in the United States, ap. Mind، جانفي 1879؛ - وُلد William Torrey Harris في 10 سبتمبر 1835، توفي يوم 5 نوفمبر 1909؛ كان مربيا، فيلسوف، ومعجمي أمريكي. (المترجم)

5- "مجلّة الفلسفة التّأملية" هي مجلة أكاديمية تبحث في الأسئلة الفلسفية الأساسية، والتّفاعل بين الفلسفة القارية والأمريكية، وأهمّية الفلاسفة التّاريخيين بالنّسبة للمفكرين المعاصرين؛ تُنشر المجلة كل ثلاثة أشهر من قبل مطبعة جامعة ولاية بنسلفانيا؛ تم إنشاء مجلة مستقلة تحمل الاسم نفسه في عام 1867 من قِبل "ويليام توري هاريس" من "سانت لويس" بولاية "ميسوري"، لتصبح المجلة الأولى في الفلسفة في العالم النّاطق باللّغة الإنجليزية؛ توقفت المجلة عن الصّدور في عام 1893، ولكن تمّ إحياء الاسم في عام 1987 في جامعة ولاية بنسلفانيا مع تأسيس "مجلة الفلسفة التّأملية". (المترجم)

6- نستعير هذا التّفصيل من "سلوسون" Slosson ، «Six Major prophets»، ص. ص. 269-270.
7- بجامعة Johns Hopkins (Baltimore) .

8- وُلد George Sylvester Morris بـ "نورويتش" ("فيرمونت") Norwich (Vermont) في 15 نوفمبر 1840؛ توفى يوم 23 مارس 1889؛ مربي وفيلسوف أمريكي. (المترجم)

9- مذهب التّعالي أو الفلسفة المتعالية transcendantalisme هو حركة أدبية وروحية وثقافية وفلسفية ظهرت في الولايات المتحدة بريطانيا الجديدة New England في النّصف الأوّل من القرن التّاسع عشر؛ كان أحد المعتقدات الجوهرية للمتعاليين هو الخير المتأصل في الإنسان والطّبيعة؛ كما اعتقدوا أن المجتمع ومؤسساته-خاصة المؤسسات الدّينية والأحزاب السّياسية-تفسد نقاء الإنسان، وأنّ المجتمع الحقيقي لا يمكن أن يتشكّل إلا من أفراد مستقلين ومكتفين ذاتياً. (المترجم)

10- وُلد Granville Stanley Hall في 1 فبراير 1884 بـ"أشفيلد" Ashfield، توفي في 24 أفريل 1924 بـ"ووستر" Worcester؛ فيلسوف، عالم نفس وجامعي أمريكي. (المترجم)

11- انظر إلى مقاله «The Ethics of Democraty»، المنشور عام 1887 والمذكور من قِبل السّيد "سلوسون" Slosson، ص. ص. 246-247:

«Democraty means that *personnality* is the first and final reality… it means that in every individual there lives an infinite and universal possibility: that for being a king or priest».

12- لم نتمكّن للأسف من الرّجوع إلى أوّلها، «Knowledge and the relativity of feeling» ولا إلى المقالات الأخرى المنشورة في «Journal of speculative philosophy».

13- «Mind»، المجلّد II، رقم 41 (جانفي 1886) «The psychological stand-point»، ورقم 42 (أفريل): «Psychology as philosophic method».

14- وُلد Herbert Spencer في 27 أفريل 1820 بـ"داربي" Derby، توفي في 8 ديسمبر 1920 بـ"برايغتون" Brighton، فيلسوف وعالم اجتماع إنجليزي؛ كتب العديد من المؤلّفات الأصلية بما في ذلك "الإحصائيات الاجتماعية" «Social Statics» 1850 المستوحاة بشدّة من نفعية utilitarisme "جريمي بنتام" Jeremy Bentham، "نظرية التكاثر" «A Theory of Population» 1852؛ يقوم عمله الكبير في إعداد "مبادئ علم الاجتماع" «Principles of Sociology» الذي امتدّ نشره من 1876 إلى 1897. (المترجم)

15- وُلد Alexander Bain في 11 جوان 1818 بـ "أبردين" Aberdeen، توفي يوم 18 سبتمبر 1903 بنفس المدينة؛ فيلسوف نفعي اسكتلندي. (المترجم)

16- نسبة لـ "طوماس هيل غرين" Thomas Hill Green: وُلد في 7 أفريل 1836، توفي يوم 26 مارس 1882؛ فيلسوف بريطاني عضو في المثالية البريطانية، حركة متأثرة بميتافيزيقا "جورج ولهالم فريدرش هيجل". (المترجم)

17- وُلد "فرديناند كانينغ سكوت سشيلر" Ferdinand Canning Scott Schiller في 16 أوت 1864 بـ"هامبورغ-أوتنسن" Hamburg-Ottensen، توفي في 6 أوت 1937 بـ"لوس أنجلوس" Los Angeles؛ يقترب فكره من براغماتية "وليام جيمس" William James على الرّغم من تفضيله مصطلح "إنسانيّة" «humanisme» لتمييز فلسفته الخاصّة؛ رفيق البراغماتية الأمريكية، هو صاحب كتاب في الميتافيزيقا: "ألغاز أبو الهول" «Riddles of the Sphinx» 1891، أعيد صياغته عدّة مرّات، العديد من المقالات النّظرية حول النّزعة الإنسانية humanisme مثل "دراسات في الإنسانيّة" «Studies in Humanism» 1907، وكذلك كُتب في المنطق التّطبيقي منها "منطق الاستخدام" «Logic for Use» 1929، و"حقائقنا الإنسانية" «Our Human Truths» 1939. (المترجم)

18- وُلد Edward Caird في 23 مارس بـ "غرينوك" Greenock؛ توفي يوم 1 نوفمبر 1908؛ فيلسوف بريطاني من أصل اسكتلندي. (المترجم)

19- وُلد Shadworth Hollway Hosdgson في 25 ديسمبر 1832، توفي يوم 13 جوان 1912؛ فيلسوف إنجليزي. (المترجم)

ap. Mind, 1887, p. 83 sq. إجابة "ديوي" Illusory psychology, ap. Mind, 1886, p. 478 sq. Cf. -20

Psychology, 1886, ch. I. الذّات العارفة أو الفاعلة هي وعي فردي، لكنّ مضمون المعرفة وحتّى الفعل يحمل خاصّية كلّية -21

Knowledge as idealisation, ap. Mind., t. XII, p. 382 sq.-22

23- "معنى". (المترجم)

24- يسترشد هنا "ديوي" من تمييز أقامه "برادلي" Principls of Logic، ص. 5- 6 .

25– *The present position of logical theory*, ap. *Monist*, أكتوبر 1891, vol. II n° I.

26- يذهب السّيد "ديوي" إلى حدّ أن يكتب: «Hegel... is the quintessence of the scientific spirit» (p. 10).

27- "الأداتية" من الأداة instrument، هي الكلمة التي نقلنا بها إلى العربية لفظ «instrumentalisme»؛ وهو الاسم الذي عُرف به مذهب "جون ديوي" البراغماتي. (المترجم)

28- Josiah Royce فيلسوف أمريكي وُلد بـ Grass Valley في "كاليفورنيا" يوم 20 نوفمبر 1855، وتوفي بـ "هافارد" Harvard في 14 سبتمبر 1916؛ واحد من الفلاسفة الأكثر تأثيرا للمرحلة الكلاسيكية للفلسفة الأمريكية، التي تمتدّ من وسط القرن التّاسع عشر إلى بداية القرن العشرين؛ يدافع ويطوّر فلسفة مثالية قريبة من فلسفة "برادلي" والمثالية الهيجلية، والتي يسمّيها هو نفسه "المثالية الموضوعية"؛ يساهم هكذا بشكل واسع في نشر المثالية الألمانية داخل الجامعات الأمريكية. (المترجم)

29- Logic, or the morphology of knowledge, 2 vol. Oxford, 1888.

-Bernard Bosanquet فيلسوف إنجليزي وُلد في 14 جوان 1848 بـ "روك هال" Rock Hall ، وتوفي بـ "لندن" London يوم 8 فيراير 1923. (المترجم)

30- يعلن المؤلّف نفسه على ذلك في (1891) Outlines of critical theory of Ethics.

31- توجد صورانية "كانط" الأخلاقية منتقدة على وجه الخصوص في (1891) *The Study of Ethic*.

32 انظر المقالتين– Green's theory of the moral motive (Philosophical Review, nov.1892) و Self-realization as the moral ideal.(1893 المرجع نفسه، جويليا)

33- أوّل المقالات المشار إليها والتي سبق ذكرها Moral theory and practice, ap. International journal of Ethics, جانفي 1891.

34- كان يدرّس الفلسفة منذ 1884 بجامعة "مشيغان".

35- سوف نجد بعض التلميحات المهمّة في كتاب "سلوسون" المشار إليه، ص. 236-245، وكذلك في المقدّمة المنشورة من قِبل السّيد "كلاباراد" في صدارة "المدرسة والطّفل" (ترجمة لأربعة مقالات للسّيد "ديوي"، "نوشاتيل" 1913أأكمكطككككككك).

36- عالم طبيعة وحفريات paléontologue إنجليزي، وُلد "شارلس داروين" Charles Darwin في 12 فبراير 1809 بـ"شروزبري" Shrewsbury في "شروبشار" Shropshire، توفي في 19 أفريل 1882 بـ"داون" Downe في "كانت" Kent؛ أحدثت أعماله حول تطوّر الأنواع ثورة في البيولوجيا مع مؤلَّفه "حول أصل الأنواع عن طريق الانتقاء الطّبيعي، أو الحفاظ على الأجناس المفضّلة في الصّراع من أجل الحياة" «On the Origin of Species by Means of Natural Selection, or the Preservation of Favoured Races in the Struggle for Life»، الذي نشره في 24 نوفمبر 1859؛ صاحب شهرة في الأوساط العلمية لزمانه لعمله الميداني وأبحاثه الجيولوجية، تبنى الفرضية التي طرحها الفرنسي "جان باتيست دو لامارك" Jean-Baptiste de Lamarck (1744-1829) التي على حسبها كلّ الأنواع الحيّة تطوّرت عبر الزّمن انطلاقا من واحد أو بعض الأسلاف المشتركة، وادّعى مع "ألفريد ولاس" Alfred Wallace (1823-1913) أنّ هذا التّطور كان مردّه للعملية المسمّاة بـ "الانتخاب الطّبيعي" «sélection naturelle»؛ نشر أيضا: "الأشكال المختلفة للزّهور على نباتات من نفس النّوع" «The Different Forms of Flowers on Plants of the Same Species» 1877. (المترجم)

37- Psychology and Philosophic Method, ap. University Chronicle, Univ. of California, 1899، وارد في ماي The influence of Darwin on philosophy and other Essays, p. 242 sq.

38 -The significance of the problem of knowledge, in University of Chicago Contributions to philosophy, 1898, t. I, n° 3; repro. In The infl., p. 271 sq.

39- قارن بطبعة Some stages of logical thought, in Philosophical Review, vol. IX, t. II, p. 465 sq. (esp. 1900)

40- The Decennial Publications of the University of Chicago، المجموعة الأولى، المجلّد III، الجزء II؛ والمجموعة الثّانية، المجلّد XI، المعنون بـ Studies in logical Theory .

41- St. in L. Th.، الفصل I، Thought and its Subjec-Matter، من قِبل "ديوي"؛- يبدو لنا مصطلح إبستمولوجي مختارا بشكل مؤسف إلى حدّ ما، بما أنّ "ديوي" يميّز بموجبه تصوّرا معينا للمعرفة يعارض به تصوّرا آخرا.

42 -Dec. Public. المجلّد III، الجزء III، المجموعة الأولى، II :A. W. Moore. Existence, meaning and reality in Locke's essay and in present epistemology;قارن مع طبعة The fonctional versus the representational theory of knowledge in Locke's Essays, ap. University of Chicago, contributions to philosophy ، (1902) لنفس المؤلّف. I، رقم IIIالمجلّد

43- St. in Log. Th. ch. VII, The nature of Hypothesis ، مناقشة "ديوي".

44- المصدر نفسه، الفصل II، III، VII، Thought and its Subject Matter، لـ "ديوي."

45- المصدر نفسه، الفصل V، Bosanquet's Theory of Judgment، لـ H. B. Thompson

46- المصدر نفسه، الفصل II، Some Logical Aspects of Purpose، لـ A. W. Moore

47- المصدر نفسه، الفصل II، ص. 36، 47.

48- المصدر نفسه، الفصل IV.

49- وُلد Francis Herbert Bradley في 30 جانفي 1846 بـ Clapham (Surrey) وتوفي بـ Oxford يوم 18 سبتمبر 1924؛ فيلسوف بريطاني؛ إنّه مع "بارنارد بوزنكيت" و"جوزياه رويس" الممثّل الرّئيسي للمثالية البريطانية؛ من بين أمور أخرى هو معروف بجدله مع "راسل" حول قانون العلاقات. (المترجم)

50- A. w. Moore, Existence ,meaning and reality...

51- St. in Log. Th. ch. I.

52- انظر على وجه الخصوص "جيمس رولاند أنجيل"، The relations of structural and functional psychology to philosophy, in Dec. Public., المجلّد III .

53- من بين المقاطع الأخرى انظر .St، ص. ص. 37-38، 375.

54- انظر على وجه الخصوص .St، ص. ص. 38-42.

55- المقصود ليس القضيّة بالمعنى المنطقي، أي القضيّة المنطقية proposition logique، وإنّما بمعنى الهدف أو الدّافع؛ فكلمة قضيّة هنا هي تعريب لكلمة cause الفرنسية في النّص الأصلي في الصّفحة 156 من المؤلّف.

56- St., الفصل III، وأيضا الفصل VII، The nature of hypotheses، لـ M. L. Ashley .

57- St., الفصل IV، قارن بـ ص. X: «Truth signifies success of the knowing function».

58- قارن بـ Moore, Existence, meaning and reality..., sub fine .

59- Cf. Moore, Existence, meaning and reality..., sub fine.

60- St., الفصل I، ص. ص. 8، 9.

61- St., p. X : «Since Reality must be defined in terms of experience, judgment appears accordingly as the medium through which the consciously as effected evolution of Reality goes on...»